مسك الختام.. حكاية عبارة

كثيراً ما نسمع عبارة «مسك الختام» في مجالسنا ومناسباتنا، فنطلقها على أجمل ما يُقال في نهاية حديث، أو أطيب من يحضر في ختام لقاء، أو أجمل ما تُختتم به مناسبة. لكن، هل تساءلنا يوماً: لماذا اختير المسك تحديداً ليكون عنواناً للنهايات الجميلة؟ وهل هناك مناسبة خُتمت بالمسك حتى أصبح ملازماً لكل ختام؟

الحكاية تبدأ من القرآن الكريم، وتحديداً من قوله تعالى في وصف شراب أهل الجنة: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: 26].

ومن هذا التعبير القرآني البديع استلهم العرب عبارة «مسك الختام»، لتصبح صورة أدبية تُعبّر عن أطيب النهايات وأجمل الخواتيم.

فالمسك ليس مجرد عطر طيب، بل رمز للرائحة التي تبقى آثارها حتى بعد غياب مصدرها؛ وهنا تكمن روعة الاستعارة. فنحن لا نصف النهاية بالمسك لأنها تُختتم به حرفياً، وإنما لأن بعض النهايات تترك في النفس أثراً يشبه أثر العطر، يبقى حاضراً بعد انقضاء اللحظة وانفضاض الحاضرين.

ولعل في ذلك درساً جميلاً: ليست العبرة دائماً بكيفية البداية، بل بما نتركه خلفنا حين تنتهي الحكاية؛ فهناك أشخاص يمرون في حياتنا كنسمة عابرة، وآخرون يكونون حقاً مسك الختام، لأن أثرهم الطيب لا ينتهي بانتهاء اللقاء.

فما أجمل أن تكون نهاياتنا عطراً، وأن نترك في ذاكرة الآخرين ما يشبه المسك!

ولعل في عبارة «مسك الختام» درساً يتجاوز جمال اللفظ إلى عمق المعنى؛ فالحياة، في نهاية المطاف، ليست بطول ما نعيشه، ولا بكثرة ما نقوله، ولا بعدد المواقف التي نتصدرها، وإنما بما نتركه في النفوس من أثر. فكم من إنسان حضر طويلاً ثم غاب وكأن لم يكن، وكم من إنسان مرّ عابراً، لكنه ترك في الذاكرة عطراً لا يزول!

إن قيمة الحضور الحقيقية لا تظهر دائماً أثناء اللقاء، بل تتجلى بعد انتهائه؛ حين تنفضّ المجالس، وتنتهي المناسبات، وتخفت الأصوات، ويبقى في القلب انطباع لا تمحوه الأيام. هناك ندرك أن أجمل الناس ليس بالضرورة أكثرهم حديثاً أو ظهوراً، بل أطيبهم أثراً، وأصدقهم موقفاً، وأرقاهم تعاملاً.

ولعل أعظم ما يمكن أن يطمح إليه المرء ألا يكون مجرد عابر في حياة الآخرين، بل ذكرى طيبة كلما حضرت أزهرت الابتسامة، وكلما ذُكر صاحبها حضر معه الامتنان. فالأيام تطوي الأحداث، والسنون تطوي الأعمار، لكن الأثر الطيب لا تطويه الأيام.

و جميل ان نجعل من حضورنا عطاءً، ومن كلماتنا طيباً، ومن مواقفنا عطراً؛ فليس المهم كيف نبدأ الحكايات، بل ماذا نترك في نهاياتها…